

# وسائل أخرى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقال الشيخ- حفظه الله- وإن من وسائل وطرق الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أولاً: التواصي بالحق فلا شك أنه من الواجب على كل مسلم بعد أن رزقه الله تعالى نعمة الإسلام، ووقفه للعمل به، فإن من واجبه أن يدعو إخوانه إلى الخير، وأن يحثهم على التمسك به، وأن يرغبهم في الثواب الآجل مع الثواب العاجل، ويحذرهم من نعمة ربهم وعقابه، فهذا واجب كل مسلم. وقد استدل العلماء على ذلك بسورة العصر- حيث حكم الله -تعالى- بخسران جميع الناس إلا من استثنى، فقال -تعالى- { وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ } وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } أي أن كل الناس قد خسروا الدنيا والآخرة إلا هؤلاء الذين حققوا الإيمان، الذي هو الاعتقاد الصادق، وحققوا الأعمال الصالحة وأظهروها، وأصلحوا ما طلب منهم، ولم يقتصروا على أنفسهم، بل أوصوا غيرهم بما هم عليه: { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ } يعني الإيمان والعمل الصالح، وهذا التواصي يعم من كان قريباً أو بعيداً في النسب والمكان. وهكذا المسلمون يوصي بعضهم بعضاً، فالقريب تنصحه وتحنه على الخير، وتحذره من الشر، وتبين له طرق النجاة وسبلها، وتبين له الآفات التي في ضدها، وتحنه على أن يعمل بما يعلم، وتبين له آثار مخالفة العلم، وآثار المعاصي. أما المسلم البعيد، فإنك ترأسله وتكتبه، وتوصي من يذهب إليه، فإذا كان عامياً أوصيته بما يناسب العوام، وإن كان من خواص أهل العلم أوصيته بما للخواص؛ فهذا تأمره بالعمل، وهذا تأمره بالتطبيق، وهذا تبين له ما يجله، وهذا تنبيه على ما يغفل عنه، كل بحسبه، وهذا هو التواصي بالحق. ثانياً: التواصي بالصبر وهذا فيه إشارة إلى أن الذين يدعون إلى الحق ويعلمون به، لا بد أن ينالهم شيء من الأذى، وشيء من التصيق عليهم والفتنة، ونحوها! فهذه سنة الله في عباده، حتى مع الرسل! إنهم ابتلوا وأذوا، وكذلك أتباعهم في كل زمان ومكان، وذلك أنه لا بد أن ينالهم -إذا كانوا متحقيقين بالإيمان- شيء من الأذى وشيء من الكلاء؛ وهكذا واقع الكثير من الأئمة والعلماء في الزمن الماضي وفي كل زمان كما حصل للإمام أحمد وسنخ الإسلام ابن تيمية وأتباعهما، فمنهم من قُتل! ومنهم من حُبس! ومنهم من اضطهد! ومنهم من قُتل من عمله! ومنهم من أُبعد! ومنهم من أشهر بشهرة سيئة طالمة! ومنهم من نشرت عنه نشرات خاطئة! وكل ذلك لم يصددهم عما هم عليه، بل صبروا وصابروا، وكانت لهم العاقبة. وقد دل على ذلك قول الله -تعالى- { أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } . فكل من قال: { آمنا } لا يستبعد أن يفتن، لقول الله -تعالى- { وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } . يعني أنه يتلهم، ويفتنهم؛ حتى يظهر معلوم الله فيمن كان صادقا ومن كان كاذبا! ويقول -تعالى- { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ } وهذا يقع كثيرا في الذين يتسمون بضعف الإيمان، فإذا أصابهم فتنة أو نالهم أذى من الناس خافوا من الناس كخوفهم من الله! وعلى هذا فالذين ينالهم شيء من الحبس والأذى، والتخويف والتهديد، وأخذ الأموال وقتل الأولاد، وما أشبه ذلك ثم يصرون ويحتسبون ويستمرون في الدعوة وبيان الحق، فهؤلاء هم صفوة إليه الذين صبروا على هذا الابتلاء، وهم المؤمنون حقا، والعاقبة لهم: { وَلَيُصْطَرِّفَنَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ } كما حقق ذلك لأوليائه، وكما دل على ذلك قوله -تعالى- { إِنَّ تَصْغُرُوا اللَّهُ يَبْزُكُمْ وَأَلَمَّا أَفْدَأَكُمْ } . والله -تعالى- غني عن نصر عباده، ولكنه يبني العباد بهذه الدعوة، وبهذا الجهاد؛ ليظهر من يمثل فيستحق النوايب، ومن يتكاسل فيستحق العقاب، ولو شاء الله لهدى الناس جميعا، يقول -تعالى- { لَعَلَّ تَأْجِعَ تَفْسَكَ الْأَكْبُوتُ مُمْؤِيبِينَ إِنَّ تَسَاءُ نَزَّلَ عَلَيْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ } فلو شاء الله لأظهر الحق، ولكنه يبني هؤلاء هؤلاء، ليعظم الأجر لمن صبر، ولتقوم الحجة على من كفر. ثالثاً: التصدي لفتن هذا الزمان ومواجهة الكفار والمشركين حيث إننا ابتلينا بكثرة الفتن في هذه الأزمنة، وبكثرة الدعايات المضللة، فإن من واجبتنا أن نتصدى لدخولها وردّها، ولو نالنا ما نالنا من الأذى في ذات الله -تعالى-. لقد ابتلينا بالكفار الذين كفروا بعد إيمانهم كفرا صريحا! أما المعتزرون بالخروج عن الإسلام كالنصارى، واللادينيين كالشيعيين والدهريين، ونحوهم، فإننا نلاقي منهم مضايقات ومماندات، ويظهرون التنقص للإسلام، والعبث للمسلمين، ورميهم بالضعف، وبالتأخر، والجمود والتقهقر لسبب الدين! فمثل هؤلاء ترد عليهم ردا عنيفا قويا إذا لم يؤثر فيهم الكلام اللين الذي أمرنا الله به في قوله -تعالى- { قُولُوا لَهُ قَوْلًا لَبِيبًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى } وعلينا أن نصل سببهم التي يعيبون بها الإسلام وأهله، ثم نبين أن الفساد والشر والكفر فيما هم عليه من معتقدات وأهية. وقد يتدخّل بهم بعض ضعاف الإيمان، فيجب أن نحرض على هؤلاء الضعاف، ونأخذ بأيديهم قبل أن يتدخّروا، ويتبعوا هؤلاء الذين يتبعون لهم؟ فيبتغونهم من غير تبصر، ومن غير معرفة روية. فإذا رأينا ضعاف الإيمان قد اندفعوا، وصاروا يمدحون الدول التي تدين بالكفر، ويصفونهم بأنهم أعلم، وأقوى! وأنهم اخترعوا وتقدّموا، ونحو ذلك! وأنهم أهل الأمانة، والوفاء، والصدق، والمعاملة والعطاء، ونحو ذلك!! فإننا نقول: بل هم أهل الخيانة، والكذب والغدر... إلخ، وليسوا بأهل لشيء مما يمدحون به، والواقع يشهد بذلك. كذلك نبين أن ديانته منسوخة، وأنها لا تقيد أهلها، لا في الدنيا ولا في الآخرة. وهؤلاء الكفار الذين ابتلينا بهم يدسون فيما بيننا الشبهات، ويشوهون ديننا، وينشرون عن ديانته وما هم عليه ما يتدخّل به ضعفاء البصائر، فيجب أن تنتبه لهم ونواجههم. رابعا: مواجهة أهل البدع ولقد ابتلينا أيضا بمن هم أكثر شرا من المشركين، وهم أهل البدع، الذين يدعون أنهم مسلمون، وهم براء من الإسلام، والإسلام الصحيح براء منهم. ومن هؤلاء الفرق التي تنتسب للإسلام وتسمى بأهله، كمن يسمون أنفسهم (بالشيعية)، الذين ابتلينا بهم وظهروا فيما بيننا على أنهم ميثا، وهم أعداء للإسلام، أيضا كانوا من قديم الزمان، وقد انخرع بهم كثير من الناس، فاعتقدوا أنهم مسلمون، وأنه لا فرق بيننا وبينهم، مع المشاهدة الظاهرة للفرق الشاسع؛ فهم لا يصلون مع المسلمين ولا جماعات أهل السنة، ولا يعترفون لأهل السنة بفضل! ثم هم يسبون صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- ويصلونهم، ويكفرون أكابرهم كالخلفاء الثلاثة ومن تبعهم! كذلك يردون السنة التي رووها، ويطلعون في القرآن؛ ويتهمون الصحابة بأنهم خاؤون في القرآن وكذبوا ونقضوا منه، ويؤولون القرآن على حسب أهوائهم، ويفسرونه بحسب ما يلائم معتقداتهم ومذاهبهم الباطلة؛ وكثيرهم الصلاة تشهد بذلك، وقد نقل عنها من قرأها من الأئمة وغيرهم شيئا من الفصاحح التي تدل على بطلان ما يمدحونهم عن الإسلام. فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن كتاب لهم يقع في عشرين مجلدا: أنهم يقولون في قوله -تعالى- { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُدْبِجُوا بَقْرَةً } قالوا: البقرة عائشة بنت أبي بكر -رضي الله عنها!! فما هذه العقول السخيفة؟ مع أن الآية خطاب لقوم موسى! ومتى وجدت عائشة حتى يقال: ادبحوا تلك البقرة؟! كذلك يقولون في تفسير قوله -تعالى- { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } { أَنَّهُمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ } وهذا من حقدهم على الصحابة، ونحوهم من أتباعهم. وكذا قالوا في قوله -تعالى- { يُؤَيُّوْنَ بِالْحِجْتِ وَالطَّاعُوْتِ } أي أبي بكر وعمر كذلك يفسرون قول الله -تعالى- { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ } أن البحرين هما علي وفاطمة { يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ } أي الحسن والحسين!! ومن طرائفهم قولهم: إن من أحب أبا بكر وعمر فقد أبغض عليا؛ لأنهما -في زعمهم- من أكبر الأعداء لعلي وأهل بيته. ونحو ذلك مما سؤلهم الشيطان. وهذه بعض المغالطات التي يتلقون بها، فمثل هؤلاء يجب الحذر منهم، والبعد عنهم، ومعرفة خطرهم على الإسلام والمسلمين. وقد انتشر مذهبهم، وصاروا يدعون إليه بالباطل على حين يظهر أمام الناس أنهم على حق! مع أنهم يكتفون ما هم عليه من الديانة الخاطئة، ويسمون ذلك تقية، ويقولون: إن من لا تقية له لا دين له! فتلقى عددهم لعن الرافضة، ولعن من يدين بدنيهم، ولكن ما ظهرهم خلاف باطنهم، فهم على ما هم عليه من الحقد والبغض، ومتى تمكنوا أظهروا ما يريدون وما هم عليه من باطل. ولا شك أننا ابتلينا هؤلاء، فعلينا أن نأخذ حذرنا منهم، وأن نحذر من مخالطتهم، ومن القرب منهم، حتى لا تنتشر بدعتهم كما انتشرت -للأسف- في كثير من البلاد الإسلامية بسبب مخالطتهم لأولئك الرافضة، فينشرون بدعتهم بسرعة بين أولئك العامة الذين يتدعون بتسويل أولئك الرافضة ومواعيدهم، وما يبذلونه من المال الكثير لنشر بدعتهم. ومن البدع المضلة بدعة الذين ينكرون صفات الله -تعالى- ويردون على أهل السنة في إثبات ذلك! وهؤلاء منتشرون أيضا في كثير من البلاد التي تنتمي إلى الإسلام، كالكثافة التي تسمى (الإباضية). فإذا التقينا بمثل هؤلاء وجب أن نظهر لهم البغضاء والحقد، ولو كانوا بجوارنا أو معنا في عمل، ونمقتهم على ديانته، ونسفه أحوالهم وأخلاقهم، ونرد عليهم ردا غليظا، ونظهر الحق أمامهم، ونطلب منهم أن يبينوا أخطأنا فنحجب عنها. وهكذا بقية المبتدعة إذا ابتلينا بهم فإنه يجب أن نحذرهم، ونحذر من الافتتان بهم، حتى يظهر المسلمون سالمين في عقيدتهم، وفي أعمالهم، إن شاء الله. خامسا: مواجهة أهل المعاصي والكبائر؛ ولقد ابتلينا كذلك بالدعاة إلى المعاصي وكبائر الذنوب وصغائرهما، فوجد من ينشرها، ومن يدعو إليها، ومن يحسنها لمن يقع فيها، ونحو ذلك! ولا شك أن هذا من سواوس الشيطان، فالشيطان حرص على أن تظهر هذه المعاصي والمخالفات في المسلمين؛ لأن المعاصي تنقص ثواب التوحيد، وتوقع أهله فيما يضعف إيمانهم، ويضعف تماسكهم، ومع هذا فإن الدعوة إليها كثيرون!! فهذا مثلا يدعو إلى ترك الاحتشام، وإلى تبرج النساء، وخروجهن ومزاحمتن الرجال، ويدعى أن في ذلك تحرير للمرأة!! وأن المرأة شقيقة الرجل، وما إلى ذلك من ادعاءات باطلة مردها إلى معتقداتهم الزائفة، فيسمع بعض الجهلة ذلك فيعتقدونه صادقا، فيمكنون نساءهم من الخروج متبرجات ومن مزاحمة الرجال، ويمكنونهم أيضا من الحرفة والاشتغال إلى جانب الرجل، ونحو ذلك! وفي ذلك نذ للحياء، ودعوة إلى الفساد، وإلى الزنا أو مقدماته، أو الفتنة أو الوقوع في مقدماتها! وهؤلاء الدعاة يجب أن تنتبه لهم، وأن نرد عليهم بما جاء به الإسلام، فإنه جاء بحفظ المرأة وصيانتها عن أن تبذل نفسها لما يعرضها للفتنة، ولما يجعلها منتهكة العرض، خارجة عن وضعها الذي تتسم به وهو الحياء والاحتشام، وعلينا أن نبين وظيفة المرأة وما يُطلب منها، فبذلك تبطل شبهة هؤلاء الدعاة إلى هذه الضلالات. كذلك الدعاة إلى بقية المعاصي وما أكثرهم، يجب أن يُحاربوا، وأن نبين لهم ضلال ما يدعون إليه وخطأه، فمثلا من يدعو إلى إباحة الأغانى، مع كونها محرمة شرعا، ووسيلة إلى الفساد وإلى وقوع الفاحشة والمنكر، وكذا من يدعو إلى نشر أسباب الدعارة، كنشر الأفلام الخليعة، والصور الفاتنة، والنظر إليها، الذي يسبب الافتتان وحب الشر، وإثارة الغرائز، ويعتد إلى الفساد وإلى الزنى ونحو ذلك. وما أكثر الذين يدعون إلى هذه الأمور الفاسدة التي تفسد الأخلاق والأديان، فيجب أن تنبه إلى الذين يروجون تلك الأفلام الخليعة ويدعون إليها، ويبيعونها ويؤجرونها، ويجب أن يُبين للمسلمين ما فيها من المفاصد حتى يحذروها. وهكذا الذين يدعون إلى ترك شيء من العبادات كترك الصلوات، أو التخلف عن الجماعة، وما أشبه ذلك، ويدعون أنه لا فائدة في ذلك، أو أنهم متى أدوا الصلاة -ولو في البيت- أو أخرجوها عن وقتها، أو نحو ذلك، فإنه قد حصل المقصود منها!! فنبين للناس خطأهم حتى يحذروا من الزلل، والوقوع في الخطأ الذي يسبب الانسلاخ من الدين -والعباد بالله-. وهكذا نبين أيضا خطأ الدعاة الذين يدعون إلى بقية المعاصي، كبرها وصغيرها؛ حتى لا يقع العامة فريسة دعائهم المضللة، فقد ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في الحديث الشريف: { لعن الله من أوى محدثا } جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (1978-43، 44، 45). من حديث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- والمحدث هو العاصي والمذنب، وكل من يجرم جريمة، والذي أواه بمعنى نصره وأيده وقواه، وحال دون أن يؤخذ الحق منه، أو يقام عليه الحد أو يؤخذ منه القصاص، أو ما أشبه ذلك. ويدخل في ذلك الكثير من الذين يدعون إلى التمكين للمعاصي، كالذين يدعون إلى إقامة المسارح، وأماكن الدعارة في البلاد الإسلامية، ويدعون أنهم يحفظون بذلك أموالهم؛ كما يحكي الكثير أنهم قالوا: إن أولادنا يذهبون إلى البلاد البعيدة بأموال طائلة، فينفقون تلك الأموال في سبيل شهواتهم المحرمة من شراب الخمر أو الزنى. قالوا: فعلينا أن نمكّن لهم في بلادنا حتى يعود ذلك بالخير علينا، ولا تذهب أموالنا لحساب الدول الأخرى. ولا شك أن هؤلاء لا يريدون بهذا البلد خرابا، بل يريدون أن تكون هذه الدولة كسائر الدول التي ينتشر فيها الشر ويباح فيها الخمر، ويُعلن فيها الزنى ونحو ذلك -والعباد بالله-. فهذه وقاحة عظيمة، والذين يفعلون ذلك ويقولونه يُعتبرون ممن أحلوا ما حرم الله ودعوا إلى المحرمات -والعباد بالله-. وواجبتنا في هذه الأزمنة أن نقوم مجاهدين لله، فنجاهد في الله حق جهاده؛ ليتحقق لنا النصر والتأييد الذي ذكره الله تعالى في قوله: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } .